مقالة تاريخية

# مالكوم اكس

## صفحة نضال في تاريخ الحقوق المدنية للأمريكيين الأفارقة

أ.م.د. نغم طالب عبد الله

كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

جامعة بغداد

الملخص:

لقد ساد التمييز العنصري في مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية خلال ستينيات القرن المنصرم. وكان مالكوم اكس أو مالكوم ليتل أو كما أصبح يعرف بعد اعتناقه للإسلام الحاج مالك الشباز، يعد أحد ابرز الشخصيات الأميركية من أصول افريقية تأثيراً، فهو داعية إسلامي مشهور وقائد ومناضل جسور، نادى بالمساواة في الحقوق المدنية والإنسانية لمواطنيه، بعد قرون من العبودية والامتهان، وتعدى دوره الى طرح فكرة توحيد نضال السود في الولايات المتحدة، وربطها بشكل وثيق بالنضال العالمي لأجل التحرر ورفض الهيمنة الامبريالية. بل إن مالكوم اكس قام بتصحيح مسيرة الحركة الإسلامية التي انحرفت كثيراً في أميركا، وتبنى وجهات نظر معتدلة وسلمية للإسلام، مما شكل نقطة تحول فاصلة في حياته ونشاطه السياسي.

ولد مالكوم اكس في بلدة اوماها – نبراسكا في التاسع عشر من مايس عام 1925. كانت أمه لويز ليتل، إحدى مهاجري جزر الهند الغربية، ووالده اورلي ليتل واعظاً جوالاً ينتمي للكنيسة المعمدانية ولد في جورجيا، وكان ناشطاً سياسياً انضم للحركة التي أسسها ماركوس غارفي MarcusGarvey في هارليم - نيويورك لتحسين ظروف الزنوج، وإعادتهم الى موطنهم الأصلي وارض الأجداد في أفريقيا، والتي تعرف باسم الجمعية العالمية لتقدم الزنوج.

عايشت عائلة مالكوم صور مرعبة، بسبب هجمات جماعة الكوكلوكس كلان العنصرية المتكررة على منزلهم. وعندما بلغ عمره عاماً واحداً انتقل الأبوان عام

1928 بأطفالهما الثمانية الى بلدة لانسينغ في ولاية ميشيغان. وهناك وبعد عدة أشهر احرق عناصر الكوكلوكس كلان منزلهم بالكامل، فانتقلت العائلة الى ضواحي شرق لانسينغ.

وفي عام 1931 وبعمر السادسة قتل والد مالكوم بطريقة وحشية على يد العنصريين البيض، وإدعى المحققون انه مات دهساً على سكة حافلة كهربائية. ساءت أحوال الأسرة كثيراً، وواجهت الوالدة ذات الأربعة والثلاثين عاماً صعوبة بالغة في إعالة أطفالها، بعد نفاذ جزء من مبلغ التامين ومصادرة المتبقي من قبل السلطات، ورفض البيض توظيفها لأسباب عنصرية. كانت فترة الثلاثينيات فترة عصيبة على الأميركيين، مع اشتداد الأزمة الاقتصادية وتردي أوضاع البلاد، وباتت العائلة تعتمد على الإعانات الخيرية والمساعدات الاجتماعية.

لكن النقطة الحاسمة في أحداث حياة مراهق بعمر الثانية عشر، كانت عندما ساءت صحة والدته العقلية، وأودعت في مصح كلامازو في عام 1937، وأرسل الأطفال الصغار الى عوائل مختلفة للتبني، تماماً كحاله، وبسبب تلك الظروف القاسية التي عاشها وهو طفل تردت أخلاقه، وعاش حياة التسكع والتطفل والسرقة، ففصل من المدرسة بسبب سوء سلوكه، وعاش فترة طويلة في دار الأحداث الإصلاحية، حيث أنهى تعليمه الثانوي. كان حلمه الكبير بان يصبح محامياً وان يدرس في كلية الحقوق، مرتبطاً بمواهبه المتعددة وتفوقه على أقرانه، لكنه كان حلماً مستحيلاً بالنسبة لشاب زنجي في أميركا.

وبعمر العشرين كان قد تنقل بين عامي 1941 - 1943 بين بوسطن ونيويورك، وعمل ماسحاً للأحذية ثم في السكك الحديدية ونادلاً وراقصاً. وفي حي هارليم انخرط الى عالم الجريمة والسرقة، وتعاطي المخدرات والاتجار بها، وإدمان الكحول والمقامرة. وبعد أن استهوته حياة الطيش واللهو، سجن مالكوم عام 1946 بتهمة السطو على المنازل والسيارات. كان دخوله للسجن بداية لانعطافة نوعية في حياته ومسيرة نضاله، إذ شجعه إخوته على اعتناق الإسلام، وقرر مالكوم اعتناقه متأثراً بأفكار حركة امة الإسلام.

في سجنه عكف مالكولم على القراءة المعمقة والاطلاع المتواصل عن عقيدته الجديدة، كما تعلم اللغة اللاتينية، وأسس لنفسه ثقافة عالية، وبدأ يتراسل مع محمد اليجا ElijahMuhammad، زعيم الحركة. خرج من السجن بعد قضائه لسبعة سنوات من مدة محكوميته البالغة عشرة، بعد صدور عفو عنه لحسن سلوكه.

بعد خروجه من السجن انتقل الى ديترويت للعمل في مساجدها، ثم الى بوسطن ومدن أميركية مختلفة. وأخذت شعبيته بالتزايد وذاع صيته بسبب قابليته الخطابية وقدرته على الإقناع ومخاطبة الجماهير وشخصيته القوية والملهمة في المناظرات التلفزيونية والإذاعية والصحفية، واخذ يتدرج في تنظيم حركة امة الإسلام، حتى أصبح عام 1959 المتحدث الإعلامي باسمها، تمكن من جذب الكثيرين للانضمام الى الحركة. ويرجع اليه الفضل بازدياد عدد أتباعها من 500 شخص عام 1952 الى 30 ألف شخص عام 1963.

لم تكن الأسس التي تبنتها تلك الحركة وزعيمها محمد اليجا صائبة تماماً. (أسسها رجل اسود اسمه والاس فارد عام 1929 ظهر في ولاية ديترويت ودعا الى مذهبه بين السود ثم اختفى بصورة غامضة بعد ذلك بأربع سنوات، فحمل لواء الدعوة بعده اليجا محمد الذي أصبح رئيساً للحركة) فقد ادعى الرجل النبوة ورسخ لفكرة العنصرية تجاه البيض وتفوق الجنس الأسود، وان الإسلام دين السود فحسب، وأرسى مفاهيم مغلوطة ومنافية للإسلام رغم اتخاذها تلك العقيدة شعاراً لها. استوقفت مالكوم تلك السلسلة الطويلة من المعاناة التي عاشها الزنوج والهنود الحمر، الى جانب ما ترتب على تجارة الرقيق سيئة الصيت من قيم لا إنسانية، استغرقت قروناً من التضحيات تعمقت معها الفوارق العنصرية والعرقية في المجتمع الأمريكي، ولم تفلح الحرب الأهلية وما تلاها من تشريعات وتطورات، في ردأ الصدع الذي تركته تلك التجارب الأليمة في تاريخ الأفارقة الأميركيين.

اختار مالكوم تغيير اسمه من ليتل الى اكس X؛ لان هذا الحرف يرمز الى الأصل المفقود من سلسلة نسب أجداده، التي انقطعت بعد جلبهم من أفريقيا الى أميركا كعبيد، حيث انقطعت جذورهم عن أوطانهم الأم، وهو احتجاج على الأسماء المسيحية التي سماهم بها مالكيهم البيض. وبهذا كانت دعوته قائمة على إن العبودية الأمريكية للزنوج أضاعت هويتهم الحقيقية. لقد أثارت طروحاته ودعواته لمنح السود حقوقاً إنسانية ومدنية في وطن بديل أصبحوا فيه أرقاء، أثارت مخاوف مكتب التحقيقات الفدرالية، التي بدأت تراقب تحركاته وتتنصت على مكالماته الهاتفية وتزرع الجواسيس لمتابعة نشاطه داخل جماعة امة الإسلام.

إن الخط الذي اختاره مالكوم في مسيرة نضاله لدعم قضية السود في أميركا، كان ينحى نحو التطرف، فكثيراً ما طالب بالقطيعة التامة مع البيض وتأسيس جهورية خاصة بالأميركيين الأفارقة، وفي حالة عدم تحقيق ذلك فيجب العودة بالسود الى أفريقيا وطنهم الأم. وفي عام 1959 قام برحلة استمرت لثلاثة أسابيع

بصفته مبعوثاً لمحمد اليجا زار خلالها مصر والسعودية وسوريا ونيجيريا وغانا. لقد بذل مالكوم جهداً استثنائياً لرفع مكانة الحركة، وتفانى بالدفاع عن أفكارها ومبادئها داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وفي تشرين الثاني من عام 1963 ومع توتر الأجواء في البلاد بسبب اغتيال الرئيس جون كيندي، وتصريحات مالكوم المثيرة للجدل حول مقتله، خلافاً لتعليمات زعيم امة الإسلام بعدم التعليق على الحادث، والذي أدى الى تجميد عضويته في الحركة، وأسباب تتعلق بالشائعات التي طالت سلوك الأب الروحي للحركة اليجا محمد وعلاقاته المشبوهة، ويمكن إضافة عامل في غاية الأهمية هو بعد الحركة عن ميدان الحقوق المدنية للسود الأفارقة، وعدم تبني نشاطات فاعلة في الجنوب الأمريكي لدعم السود حيث العنصرية في أوجها.

على الرغم من تبنيها مواقف معادية للبيض، نشب خلاف بين الرجلين، فقدم مالكوم استقالته من المنظمة عام 1964، كما قرر في هذا العام التوجه في رحلة لأداء فريضة الحج الى مكة، زار خلالها القاهرة، حيث تعرف على الإسلام عن كثب وبرؤية جديدة، مغايرة لما كان يعتقد، بسبب الأفكار المشوهة والمغلوطة التي كانت تدعو لها حركة امة الإسلام، كما تعلم الصلاة الصحيحة، وشعر بعظمة ذلك الدين وسماحته وقيمه الإنسانية العالمية، حيث يتساوى الأبيض والأسود وجميع الأعراق والأجناس، في مشهد مهيب يلغي التمييز بشتى أشكاله وصوره، ويدعو الى الإخاء والتعايش السلمي بعيداً عن روح البغض والعنصرية والتفرقة .

شكلت هذه الرحلة نقطة تحول جذري في حياة مالكوم، فاكتشف انه طوال الإثنتي عشرة سنة المنصرمة كان يدعو الى الكراهية. كما التقى خلالها بشخصيات إسلامية وزعماء بارزين، فقد التقى بالحاج أمين الحسيني مفتي القدس وبالعاهل السعودي الملك فيصل، وكانت فرصة سانحة لكي ينقل محنة الرجل الأسود في أميركا، وعقد العزم على نقل الصورة الحقيقية للإسلام بين مواطنيه. ومن جدة غادر مالكوم أواخر شهر مايس عام 1964 الى بيروت، وعاد الى القاهرة ومن الإسكندرية انطلق الى نيجيريا وغانا والسنغال، ثم الى المغرب والجزائر، ومنها عائداً الى الولايات المتحدة.

عبر مالكولم اكس عما تركته تجربة الحج هذه في أعماقه بالقول " لقد تركت جزءاً من نفسي في مكة المكرمة، وحملت جزءاً منها معي الى الأبد" . خلال تلك المحطات تأكد مالكوم من فشل المنظمات الأمريكية السوداء في إيجاد حلقة تواصل بين الأميركيين الأفارقة مع الأمم الأفريقية الأخرى.

نقبس بعض ما جاء في رسالة بعث بها مالكوم الى زوجته بيتي من الديار المقدسة في العشرين من نيسان عام 1964، وعكست عمق هذه التجربة الروحية " لم اكن شاهداً على مثل هذه الحفاوة العارمة الصادقة بروح من الأخوة الحقيقية كما كانت تمارس هنا من الناس من كل الألوان والأجناس في هذه الأرض المقدسة القديمة، منزل إبراهيم ومحمد (عليهما السلام) وكل الأنبياء من الكتاب المقدس. في الأسبوع الماضي، كنت عاجزاً عن الكلام ومصدوماً من الرقة التي تعامل بها الناس معي من كل الالوان... هناك عشرات الآلاف من الحجاج من جميع أنحاء العالم. كانوا من جميع الألوان من أزرق العينين ذو الشعر الأشقر الى ذوي البشرة السوداء من اصل إفريقي، ولكن جميعنا نتشارك في نفس الطقوس، عرضت عليّ روح الوحدة والأخوة بطريقة دفعتني للاعتقاد انها لا يمكن ان تكون موجودة في أمريكا... تحتاج أمريكا الى فهم الإسلام، لأن هذا هو الدين الوحيد الذي سيمحو مشكلة العرق من مجتمعها. خلال زيارتي الى العالم الاسلامي، التقيت وتحدثت أناس يعدون في أمريكا من العرق الأبيض، لكن سلوك العرق الأبيض مُحي من ذاكرتهم بواسطة الإسلام... خلال أحد عشر يوماً هنا في العالم الإسلامي، لقد أكلت من نفس الطبق، وشربت من نفس الكأس، ونمت في نفس السرير، صلينا خلالها لنفس الإله مع إخواني المسلمين... وأستطيع أن أرى من هذا، أنه ربما إذا قبل الأمريكيون البيض وحدانية الله، فربما يمكنهم أيضًا قبول وحدانية الإنسان في الواقع - والتوقف عن القياس والمقارنة، وإيذاء الآخرين بسبب " الاختلافات في اللون". مع العنصرية التي ابتليت بها أمريكا مثل السرطان غير القابل للشفاء، يجب أن يكون ما يسمى بالقلب الأمريكي الأبيض "المسيحي" أكثر تقبلاً لحل لمثل هذه المشكلة المدمرة — كي لا يتكرر ما حصل في ألمانيا من العنصرية، التي دمرت في نهاية المطاف الألمان أنفسهم.

إن كل ساعة هنا في الأرض المقدسة تمكنني من الحصول على رؤى روحية أكبر حول ما يحدث في أمريكا بين الأسود والأبيض. لا يمكن إلقاء اللوم على الزنجي الأمريكي بسبب العداوات العرقية - فهو يتفاعل فقط مع أربعمائة عام من العنصرية الواعية للبيض الأمريكيين. لكن بينما تقود العنصرية أمريكا الى طريق الانتحار، أعتقد من التجارب التي مررت بها معهم، أن البيض من جيل الشباب في الكليات والجامعات، سيرون الكتابة اليدوية على الجدران، والكثير منهم سيرون العودة الى الطريق الروحي للحقيقة - السبيل الوحيد المتبقي لأمريكا لدرء الكارثة التي لا بد أن تؤدي إليها العنصرية".

" لم احظ في حياتي بغاية هذا الشرف، أبداً لم أشعر بهذا التواضع، من كان يصدق ان النعم تنهال على أميركي أسود ؟ قبل بضعة ليالي، رجل يُدعى في أمريكا الرجل الأبيض، رجل دبلوماسي في الامم المتحدة، سفير، مرافق للملوك، اعطاني جناحه الخاص في الفندق، سريره الخاص، ابداً ما فكرت حتى في احلامي أن أكون المستفيد من كل هذا الشرف، هذا الشرف الذي يمنح في أميركا لملك، وليس لاسود. الحمد لله رب العالمين، اله العالم كله "

لقد دفع مالكولم اكس حياته ثمناً للعقيدة التي آثر تصحيح مسارها المنحرف من قبل جماعة امة الاسلام المتعصبة، والتي عدته في خط المواجهة عدواً بات يشكل خطراً على وجودها. فكانت آخر صفحة من صفحات كفاحه المتواصل لنشر التسامح والاخوة والدين السليم، في قاعة المؤتمرات في نيويورك في الحادي والعشرين من شباط عام 1965، عندما اغتيل المناضل خلال القاءه خطبة كان يدعو فيها الى الاسلام والسلام.

لكن سيرة الرجل بقيت مليئة بمواقف العنفوان والصمود والثبات، بعد ادراك الحقيقة، وحافلة بالتصدي لمواجهة كل من عنصرية البيض وانحراف عقيدة جماعة امة الاسلام، وسيبقى مالكولم اكس عنواناً للأحرار والثوار على مر الزمن.

**Review Article**

# Malcolm X

## A Struggle Page in the History of Civil Rights for African Americans

**Assist Pro.Dr. Nagam Talib Abdullah**
**Ibn Rushd College of Education for Human Sciences**
**Baghdad University**

**Summary:**

The Society of the United States of America during the Sixties of the Last Century faced the Racial Discrimination Policy. Malcolm X, or Malcolm Little, or as he became known after his conversion to Islam, Haji Malik al-Shabazz, was considered one of the most prominent and influential African American figures. His role is to put forward the idea of unifying the struggle of blacks in the United States, and to link it closely to the global struggle for liberation and the rejection of imperialist domination. Indeed, Malcolm X corrected the course of the Islamic movement, which deviated greatly in America, and adopted moderate and peaceful views of Islam, which constituted a turning point in his life and political activity.